BITARA
Volume 4, Issue 3, 2021: 24-37
© The Author(s) 2021
e-ISSN: 2600-9080
http://www.bitarajournal.com

مفهوم العدل في الثقافة العربية

[The Concept of Justice in Arab culture]

Said Ma Yanzhe & Daoud Ibrahim Theeb Abdallah [1]

الملخص

الثقافة هي من أهم الأمور التي تتفاخر فيها الأمم ويحق لها ذلك، فالأمم العريقة هي التي تعتز بثقافتها، وكلما كانت الثقافة منفتحة على غيرها تفيد وتستفيد كلما كان انتشارها أكبر في العالم. والثقافة العربية من بين تلك الثقافات المهمة والمؤثرة عبر التاريخ، وتعتبر الثقافة العربية من الثقافات المنفتحة، لذلك كان لهذا انتشار كبير في العالم، فقد كانت قبل خمسة قرون من أهم الثقافات في العالم، وفي هذا البحث يريد الباحث أن يسلط الضوء على جانب مشرق من هذه الثقافة ألا وهو العدل فما هو مفهوم العدل في الثقافة العربية؟ في هذا البحث سيقوم الباحث بالتعرف على العدل في اللغة والاصطلاح، وتبيين أن معنى العدل المختار هو نقيض الجور، وأن العدل هو وضع الشيء في مكانه، ثم تأكيد أهمية العدل في الثقافة العربية، وكيف أن هذه الثقافة قامت على العدل، فهو ركن أساسي فيها، ثم تبيين مجالات هذا العدل، وأنه يشمل جميع مجالات الحياة من الحاكم إلى الفرد إلى المجتمع، وتبيين ثمار العدل وما يجلبه من خير على الأُمة، وخطورة ترك العدل وعواقب ترك العدل، وذكر أن العدل ليس مجرد مفهوم جامد في الثقافة العربية، بل أن هناك مئات بل آلاف من المشاهدات عبر التاريخ تدل على تطبيق هذا العدل بل أن العدل أصبح سلوكًا في وقت من الأوقات عند أصحاب الثقافة العربية، وعندما كان العدل هو سلوكهم، كانت ثقافتهم في أعلى المراتب. كما يوضح الباحث أن العدل ليس المساواة دائما، فأحياناً يكون مع المساواة الظلم، فالعدل هو أبلغ من المساواة، بالإضافة أن العدل الكامل هو العدل الإلهي، أما العدل البشري يكون نسبي، لكن هذا لا يعفينا من الاجتهاد قدر ما نستطيع في تطبيق العدل. أتمنى أن أكون قد ساهمت في بيان جانب مشرق من جوانب هذه الثقافة العربية العظيمة.

الكلمات المفتاحية:

العدل، الثقافة، الظلم، المساواة.

Abstract

Culture is one of the most important things that nations boast about and they have the right to do so. Arab nations are the ones that respects their culture, and the more culture is open to others, it benefits and benefits the greater its spread in the world and Arab culture among those important and influential cultures throughout history. Arab culture is considered as a one of the cultures open to that. This had a great spread in the world. Five centuries ago, it was one of the most important cultures in the world, and in this paper, you want to shed light on a bright side of this culture, which is justice. What is the concept of justice in Arab culture? In this research, we will identify justice in language and terminology and show that the meaning of chosen justice is the opposite of injustice.

[1] Department of Arabic, Sun Yat-sen University, Guangdong Sheng, PEOPLE'S REPUBLIC OF CHINA.

Coressponding Author:
SAID MA YANZHE, Department of Arabic, Sun Yat-sen University, 135 Xingang W Rd, Bin Jiang Lu, Haizhu Qu, 510085 Guangzhou Shi, Guangdong Sheng, PEOPLE'S REPUBLIC OF CHINA.
Email: mayanzhe@mail.sysu.edu.cn

justice is putting what is in its place, then we emphasize the importance of justice in Arab culture and how this culture is based on justice, as it is a fundamental pillar in it, then we explain the areas of this justice And that it encompasses all areas of life from the ruler to the individual to the council. We show the good it brings to the nation, the danger of leaving justice, and the consequences of leaving it, and we recall that justice is not just a static concept in Arab culture, but that there are hundreds or even thousands of observations throughout history that indicate the application of this justice. Justice became a behavior at a time for the owners of Arab culture, and when justice was their behavior, their culture was at the highest ranks, as the researcher explains that justice is not always equality. We hope that we have contributed to illustrating a bright side of this great Arab culture.

Keywords:
justice, culture, injustice, equality.

Cite This Article:
Said Ma Yanzhe & Daoud Ibrahim Theeb Abdallah. 2021. Mafhum al-'Adl fi al-thaqafah al-'Arabiyyah. *BITARA International Journal of Civilizational Studies and Human Sciences* 4(3): 24-37.

المقدمة

تعريف العدل لغة: قال ابن فارس (عدل: العين والدال واللام أصلان صحيحان لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما يدل على استواء والآخر يدل على اعوجاج، فالأول العدل من الناس المرضي المستوى الطريقة، والعدل نقيض الجور نقول عدل في رعيته ويوم معتدل! إذا تساوى حال حره وبرده، فأما الأصلُ الآخر فيقال في الاعوجاج عدل وانعدل، أي انعرج وقال ذو الرمة (وأني لأنجي الطرف من نحو غيرها حياءً ولو طاوعته لم يعادل).(Ibn Faris 1966, 2:229) وقال صاحب مختار الصحاح العدل ضد الجور (al-Razi 1999: 202) ، ويقول الراغب الأصفهاني في العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، ويستعملُ باعتبار المضايفُة والعَدل والعِدلُ يتقاربان، ولكن العدل يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، وعلى ذلك قوله {أو عدل ذلك صياما} (al-Quran, al-Ma'idah, 5:95) والعِدل والعديل فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيالات. فالعدل هو التقسيط على سواء وقال أيضا فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر به (al-Raghib al-Asfahani 2012: 343)، قال صاحب لسان العرب (العدل ما قام به النفوس أن يستقيم وهو ضد الجور، وفي أسماء الله سبحانه، العدل وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم والعدل الحكم بالحق والعدل من الناس: المرضي قوله وحكمه(Ibn Manzur, 1414, 9:83-84) .

وقال صاحب مشارق الأنوار (العدل الاستقامة وهو نقيض الجور يقال منه عَدَلَ يَعدِل فهو عدل وهما عدل وهم عدل وهن عدل) (al-Qadhi 'Iyadh 1978, 2:12) وقال الجرجاني: (العدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وقيل العدل مقدر بمعنى العدالة وهو الاعتدال والاستقامة وهو الميل إلى الحق) (al-Jurjani 1983: 147).

وبعد أن نقلنا أقوال أئمة اللغة في تعريف العدل لابد أن نعرف الظلم خاصةً وأن كثيراً من العلماء عرفوا العدل بأنه نقيض الظلم وكما يقال وبضدها تتميز الأشياء. فالظلم كما قال ابن فارس الظاء واللام والميم أصلان صحيحان. أحدهما خلافُ الضياء والنور والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً(Ibn Faris, 1966, 2:99) . قال الراغب الظلمة عدم النور وجمعها ظلمات وقال والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدل عن وقته أو مكانه (al-Raghib al-Asfahani, 2012, 333). وقال الفيروز ابادي: (الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقال كذلك صاحب لسان العرب) (al-Fayruz Abadi 2005: 1134). وبعد أن ذكرنا أقوال كبار أئمة اللغة في معنى العدل والظلم.

معنى العدل في الاصطلاح: قال عبد الكريم زيدان: (بأنه وضع الشيء في موضعه وإعطاء كل شيء حقه من المكان أو المنزلة أو الحكم أو العطاء) (Zaydan, 1993, 115). وقال حبنكه الميداني: (هو إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ونقصان) (Habannakah, 1999, 566). أما تعريف المعتزلة للعدل فهو مختلف عما ذكرنا (فالعدل الإلهي ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة والمراد وصف الله تعالى بأنه عدل أي أن أفعاله كلها حسنه وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه وهذا يعني عند المعتزلة أن الله سبحانه وتعالى لا يفعل القبيح ولا يريده) (al-Duri, 2016, 105).

والذي يبدو أن تعريف عبد الكريم زيدان هو أجمع التعاريف وأوضحها وينطبق عليه كلام العلماء السابقين حيث عرف العدل بأنه وضع الشيء في مكانه وهو هكذا نقيض الظلم وذكر مجالات هذا العدل لذلك كان أوضح بالتعريف.

أهمية العدل في الثقافة العربية

أ. لقد عرف العرب مفهوم العدل قبل الإسلام وكان من جملة الأخلاق الحميدة ولكنه لم يكن يشمل كل مجالات الحياة وكل أفراد المجتمع كما هو بعد الإسلام وكان يتجلى العدل في القضاء عند العرب ومجموعة من الأخلاق بالإضافة لبعض المبادرات من بعض الأشخاص أو القبائل مثل حلف الفضول الذي اشترك فيه النبي صل الله عليه وسلم(al-Millah, Muhammad 2008: 51) . وقال عفيف طبازة: (والحقيقة أن الأمم قبل الإسلام كانت تعرف معنى العدل والظلم، ولكنها ما كانت تعرف حدود كل واحد منهم، فكانت تلك الحدود متداخلة، شأنها في ذلك شأن أكثر المعاني المجردة إذ ذاك) (Tabazah 1993: 299). أما بعدَ الإسلام فالعدل أصبح شعار المسلمين، وحيث قامت الثقافة العربية على العدل وكان من أسباب انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وفي العالم مفهوم العدل في هذه الثقافة ومن أهم معالم العدل ذكره في الأصلين وهما القرآن والسنة وسنذكر بعض هذه النصوص:

i. {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (al-Quran, al-Nahl,16:90)

ii. {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (al-Quran, al-Ma'idah, 5:8)

iii. {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (al-Quran, al-Nisa',4:58)

iv. {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}-(al-Quran, al-Hujurat, 49:10)

ومن هنا يتبين لنا أن مفهوم العدل من القيم التي حث الإسلام عليها في القرآن ولقد جاءت الآيات داعية إلى العدل ومحذرة من الظلم ومحرمة له والله سبحانه وتعالى من أسمائه العدل وما أنزل كتبه وما أرسل رسله ولا كلف الناس بالشرائع إلا لأجل إقامة العدل وإقامة العدل إحدى وظائف رسول الله صل الله عليه وسلم التي كلف بها وسنذكر الآن بعض الآثار من السنة وأقوال بعض العلماء التي تبين أهمية العدل.

ب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) (Muslim 2578).

ج. وقال صلى الله عليه وسلم من الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ...) (Muslim 2577) والنهي عن الظلم حث على العدل في مفهوم المخالفة

د. وقال صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلمهم الله في ظلهم يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ....) -(al-Bukhari, 1422, 1423). وهنا جعل النبي صل الله عليه وسلم أول شخص يظل يوم القيامة الإمام العادل.

ه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: إنَّ المفلسَ من أمَّتي، يأتي يومَ القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا. فيُعطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يقضيَ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه ثمَّ طُرِح في النَّار) (Muslim 2581). وفي هذا الحديث تأكيد على أهمية العدل وعقوبة الظلم، وأن الإنسان حتى لو كان عنده أعمال كثيرة من الطاعات وكان يظلم الناس سيكون مآله إلى الخسران يوم القيامة.

و. عن محمد بن كعب القرظي قال: (دعاني عمر بن عبد العزيز فقال: صف لي العدل؟ فقلت: بخ سألت عن أمر جسيم كن لِصغير الناس أباً، ولِكبير هِم ابنًا وللمثل منهم أخاً وللنساء كذلك) (al-Khatib al-Sharbini, 1285, 2:257).

ز. قال ابن العربي: العدل بين العبد وربه إيثار حقهِ تعالى على حظ نفسه، وتقديم رضاه على هواه، والاجتناب للزواجر والامتثال للأوامر، وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعِها مما فيه هلاكها، قال الله تعالى: {ونهي النفس عن الهوى} (al-Quran, al-Naza'at, 79:24)، وعزوبة الأطماع عن الإتباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى ،وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة ، وترك الخيانة فيما قلّ أو كثُر ، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ، ولا يكون منك إساءه إلى أحد بقول أو فعل لا في سرّ ولا في علن ، والصبر على ما يصيبُك منهم من البلوى وأقل ذلك وترك الأذى) (al-Qurtubi, 1964,10:166).

ح. يقول ابن تيميه: (أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، مما لا تستقم فيه مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافره، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مُسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أُقيمَ أمرُ الدنيا بالعدل قامت وإن لم تقم بالعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزي به في الآخرة) (Zaydan, 1993, 46).

ط. يقول زيدان: (إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة، وبمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس، والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنّته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم إلى كفرها ظلم حكامها للرعية، وتظالم الناس فيما بينهم) (Zaydan, 1993, 125)

ي. ويقول حبنكه: (ولما كان العدل أحد فروع خُلق حب الحق وإيثاره، وأثراً تطبيقيا من أثاره كان لا بد أن نجد الذين يحبون الحق ويؤثرونه قوما مُتصفين بخُلق العدل، فإيمانهم به يدفعهم إلى إقامة العدل والحكم بالعدل، والشهادة بالعدل، ومعاملة الناس بالعدل، والقول بالعدل، والكتابة بالعدل، إلى غير ذلك مما يدخل فيه العدل والجور) (Habannakah, 1999, 627)

ك. ويقول القرضاوي: (والعدل بالإسلام ليس مبدأ ثانويا هو أصل أصيل واساس متين يدخل في تعاليم الإسلام وأحكامه كلها عقائد وشرائع وأخلاقاً) (al-Qaradawi, 1995, 375)

بعض مجالات العدل :ومجالات العدل كثيرة فهي تشمل كل مجالات الحياة، سنختار منها أهم هذه المجالات:

العدل مع النفس

وهو من أهم مجالات العدل والمتأمل للثقافة العربية الإسلامية يجد أنها أولت أهمية كبرى للنفس، فلم تعتبر النفس ملك صاحبها بل هي ملك لله تعالى فلذلك لم تجز له إزهاق روحه بغير مسوغ أو مبرر شرعي أيضًا ولا أن يكلف نفسه ملا يطيق، ولقد كان حفظ النفس من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية ومن ضروراتها الخمس. ولنا

في حديث رسول الله صل الله عليه وسلم قدوة حسنة عندما قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: (فإن لزوجك عليك حق ولزورك عليه حق ولجسدك عليك حق) (al-Bukhari 1422: 1974).

ولما قامت الحضارة الإسلامية على أساس إسلامي وإنساني، حققت للإنسان السعادة والمجتمع الرغيد في الدنيا على أوسع رقعة من الأرض، ثم سارت معه إلى الأمام ليبني سعادة خالدة، ومجتمعًا خالصًا في الآخرة. وكانت الحضارة الإسلامية قائمة على تعاون الشعوب والأمم المختلفة، وساهمت في بنائها الشعوب الإسلامية قاطبة من الشرق والغرب، بعد أن انصهرت نشاطاتها وتفكيرها في بوتقة الإيمان، بل إن الحضارة الإسلامية لم تحجب المساهمة فيها لغير المسلمين، لأنها حضارة إنسانية، وكل إنسان يمكنه المساهمة فيها، وله كل التقدير والاحترام (al-Ruhayli, 1997, 63).

العدل مع الأسرة

ومجال الأسرة يشمل الأولاد والزوجة، لقد اهتمت الثقافة العربية والإسلامية بالمرأة وجعلت لها القيمة الكبرى، ممن عدل الإسلام أنه جعل للزوجة حقوق كثيرة وتنقسم هذه الحقوق إلى قسمين مادي ومعنوي نذكر منها:

الحقوق المادية:

أ. **المهر**: وله أسماء عديدة عند العرب منها الصداق، قال السيد سابق: (من حسن رعاية الإسلام للمرأة واحترامه لها أن أعطاها حقها في التملك إذ كانت في الجاهلية محرومة هذا الحق حتى أن وليها يتصرف في خالص مالها، ولا يمكنها من التصرف فيه، فكان أن رفع الإسلام عنها هذا الأمر وفرض لها المهر (Sabeq, 2004,2:578)

ب. **النفقة**: فلقد أوجب الإسلام على الزوج النفقة على زوجته حتى لو كانت زوجته غنية، وإذا كانت المرأة غير متزوجة أوجب الإسلام النفقة على والداها ثم أخوها حتى يصل إلى أقربِ رجل من عائلتها وما هذا إلا تكريما لها.

الحقوق المعنوية:

فالمرأة: مساوية للرجل في الكرامة الإنسانية، ولها حقوق مثل ما عليها واجبات، ولها شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة، وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها وحق من يكون شريك حياتها وحقها في الميراث وحقها في العمل ضمن الضوابط الشرعية (al-Ruhayli, 1997, 213).

أما الأولاد: فقد أوجب الإسلام العدل بين الأولاد ونهى عن التفضيل بينهم عن النعمان بن بشير قال: أتى أبي إلى رسول الله صل الله عليه وسلم ليشهده، فقال (أكل ولدك أعطيته هذا) قال: لا قال: (أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من هذا؟) قال: بلى قال: (فإني لا أشهد) وفي رواية أُخرى فلا نشهد إذا فإني لا أشهد على جور) (Muslim 1623).

فالمتأمل في هذا الحديث يجد أن الإسلام رسخ قواعد العدل بين الأنباء وجعلها من أهم الأُمور وجعل مخالفها أي الذي يظلم أبناءه من الآثمين المعاقبين في الدنيا والآخرة.

العدل في المجتمع

يشمل العدل في المجتمع مجالات كثيرة نأخذ منها العدل في الحكم والقضاء:

أ. **أما العدل في الحكم:** وهو أهم مجال من مجالات العدل لأنه إذا صلح السلطان صلح الشعب وصلحت أمور الناس وعباداتهم وحياتهم كلها، ولهذا وضع الله تعالى الأجر العظيم للإمام العادل، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم إمام عادلاً...) (Muslim 1660) ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) (Muslim 1827). ويقول صلى الله عليه وسلم: (وأهل الجنة ثلاثة) ذو سلطان مقسط موفق ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى مسلم وعفيف متعفف ذو عيال(Muslim 2865) من خلال تدبر هذه الأحاديث نلحظ ما جعل الله عز وجل من أُجر كبير للإمام العادل لان الإمام إذا صلح صلحت الأمة وإذا فسد فسدت الأُمة ولأنه هو من يستطيع تطبيق العدل بأعلى درجاته بصورته المطلقة. ويقول ابن خلدون في المقدمة نقلا عن المسعودي: (أيّها الملك إنّ الملك لا يتمّ عزّه إلّا بالشّريعة والقيام للّه بطاعته والتّصرّف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشّريعة إلّا بالملك ولا عزّ للملك إلّا بالرّجال ولا قوام للرّجال إلّا بالمال ولا سبيل للمال إلّا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلّا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرّبّ وجعل له قيّما وهو الملك) (Ibn Khaldun 1988: 51)

ب. **العدل في القضاء:** والعدل واجب على القاضي أن يأخذ لكل ذي حق حقه وإلا اختل النظام وأهدرت الدماء واستبيحت الأعراض والأموال وضاع المظلوم دون أن يأخذ حقه، وواجبة ان القاضي والأحكام المتخصصة به كثير أفرادها العلماء في كتب الفقه وفصلوا فيها تفصيلاً واسعاً لما للقاضي من أهميته ومنها:

ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصيمين في خمسة أشياء:

أ. الدخول عليه.
ب. الجلوس بين يديه.
ج. الإقبال عليهما.
د. الاستماع لهما.
ه. والحكم عليهما أو لهما.

قال تعالى: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً" (al-Quran, al-Nisa',4:58) (Sabiq 2004: 2:155-156). وقال صلى الله عليه وسلم: القضاء ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) Abu Dawud) 2009: 3573)

يقول الدكتور أبو فارس: يقول أبو فارس: (إن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي تعد من أقدس الواجبات وأهمها وقد أجمعت الأمة على وجوب العدل، وأجمعوا على أن من كان حاكما وجب عليه أن يحكم بالعدل)) ، وأجمعوا على: "أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل"(Abu Faris,1986, 47)

العدل مع المخالفين: ومن أوضح معالم العدل في الثقافة العربية والإسلامية أنها تقيم العدل على الجميع، ولا يقتصر العدل عندها على قومية أو جماعة معنية أو جنس أو عرق، فالظلم محرم لجميع الناس مهما كانت دياناتهم أو معتقداتها لذلك جاءت كل الأحاديث بصفة العموم ونذكر هنا بعض الأحاديث التي خصت عدم ظلم المخالف. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا من ظلمَ مُعاهِداً، أَوِ انتقصهُ، أو كَلفهُ فَوْقَ طاقتهِ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ، فانا حجيجه يوم القيامةِ) (Abu Dawud 2009: 3052) هل هناك عدل أو رحمة أعلى من هذا؟! ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً؛ فإنه ليس دونها حجاب) (Ibn Hanbal 2001: 12549).

وفي رواية أخرى لأحمد، قال صلى الله عليه وسلم " دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً؛ ففجوره على نفسه"(Ibn Hanbal 2001: 8795) فهذا تصريح بين أن المظلوم ليس بينه وبين الله حجاب، ومن هنا فإن المسلم الصادق لا يظلم أبداً لإحساسه الدائم برقابة الله عزَّ وجل عليه، و أن المسألة مسألة عقائدية، و أن الله عز وجل ينصر المظلوم يوم القيامة على الظالم، و إن كان المظلوم كافراً و الظالم مسلماً، و أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف مع المظلوم ضد الظالم يوم القيامة بصرف النظر عن ديانة كل منهما (al-Sirjani, 2009, 244)

ثمار العدل وخطورة تركه

سنتكلم في هذا المبحث عن أهم فوائد العدل للفرد وللمجتمع وعن خطورة ترك العدل والآثار السلبية التي تعود على الأمم نتيجة ترك العدل.

من أهم ثمار العدل

أ. إن أهم ثمرة من ثمرات العدل عند المسلمين هي إرضاء الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى من أسمائه العدل وما أنزل كتبه ولا أرسل رسله ولا كان الناس بالشرائع إلا من أجل إقامة العدل. يقول الغزالي: (العادل هو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله، ولا يعرف عدله من لا يعرف فعله)(al-Ghazali, 1987, 119) . فالإسلام بثقافته العربية والإسلامية كله قائم على العدل فمن طبق العدل أرضى الله سبحانه وتعالى لأنه هو العدل.

ب. إقامة العدل هي أهم سبب من أسباب الأمان والطمأنينة للشعوب فإذا ساد العدل أمن الناس.

ج. العدل يجعل الاقتصاد يتطور فعندما يعرف العامل أنه سيأخذ حقه كاملاً وأن كل ما يعمل به سيعود بالنفع عليه ولن يظلم حقه سيواصل الليل بالنهار في العمل.

د. عندما يكون العدل لن يخاف الباحث والمخترع من إظهار أفكاره فلا أحد يسرق الأفكار بل سيجد من يتبنى هذه الأفكار ويطورها. ولن تكون هناك هجرة للعقول ولا للمخترعين خارج بلادهم إذا وجدوا فيها العدل.

ه. العدل يجعل البلاد في رخاء ويجعلها متماسكة صوب أي عدو خارجي ويجعل الحاكم والمحكوم في خندق واحد.

و. العدل يجعل كل شخص في المجتمع يعرف ماله من حقوق وما عليه من واجبات يقول أحد العلماء: " إن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة وتنشر الأمن وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم وتنمي الثروة وتزيد في الرخاء وتدعم الأوضاع فلا تتعرض لخلخلة أو

اضطراب وتمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل والإنتاج وخدمة البلاد دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه أن يعيقه عن النهوض"(Sabeq, 1963, 147) .

بيان بعض الأمور المترتبة على ترك العدل

إن ترك العدل من أخطر الأمور وهذا يعني أن الظلم هو الذي سيسود في المجتمع والأفراد وإليك بعض عواقب الظلم:

أ. العقاب الشديد والسخط من الله سبحانه وتعالى على الظالمين في الدنيا والآخرة والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

ب. إذا شاع الظلم تعطلت عجلت الاقتصاد فأصبح الكل يخاف على ماله ولو كان يبدو ظاهرياً أن الاقتصاد يسير مع الظلم فإن من السنن الكونية أنه إلا زوال قريب.

ج. الظلم يجعل العقول والمخترعين يهاجروا إلى بلاد أُخرى ويتركوا بلادهم للبحث عن مكان مناسب لهم للبحث والاختراع.

د. الظلم يشيع عدم الأمان والخوف بين الناس ويجعل الناس والحكام يتربص بعضهم ببعض. قال الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعينُ الله لم تنَم

نماذج من العدل عبر التاريخ العربي والإسلامي

لقد كان الحبيب صلى الله عليه وسلم نموذجًا للعدل في حياته وسيرته كلها عدل فقد ملأ الأرض عدلاً ورحمة، ومنها ما رواه البخاري عن ابن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليتقطع بها مال امرئٍ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان ". قال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك بينةٌ؟" قُلتُ: لا. فقال لليهودي: احلف. قال: قلت: يا رسول الله، إذا يحلف ويذهب بمالي. فأنزل الله تعالى: (إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً) إلى آخر الآية(al-Bukhari, 1422, 2285) . في هذا الحديث يتخاصم أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع يهودي وتطبيق القانون يؤدي إلى ضياع حق الصحابي لأنه لا دليل معه ومع ذلك طبق النبي صلى الله عليه وسلم القانون. يقول السرجاني:" إن رحمة رسول

الله صلى الله عليه وسلم بالمسلم المدعي لا تدفعه إلى القسوة على اليهودي المدعي عليه! أليس هذا هو العدل المطلق الذي لا يتوقع أحد من البشر أن يكون له تطبيق في واقع الناس؟! أو ليست هذه هي الرحمة التي ليس لها مثيل في حياة الناس؟! إنَّ هذا ببساطة هو الإسلام... دين من السماء يحكم حياة الناس في الأرض. وإنَّ هذا هو رسولنا صلى الله عليه وسلم... أعظم الخلق خُلُقًا وأدبا ... أننا لا نملك بعد رؤية أمثال هذه الموافق إلا أن نهتف بقول ربنا تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} سورة الأنبياء (al-Sirjani, 2009,246).

ونذكر مثالاً آخر من عدالة الصحابة وهي قصة عمر بن الخطاب: (حدث أن أحد أعيان الفرس، وكان ذِمياً، وكانت له ضيعة، تلاصق ملكاً لأمير، كان والياً لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فرأى هذا الأمير، أن يغتصب من هذا الدهقان ضيعته، فشكا إليه ذلك، فزجره، وأهانه، فأشارت عليه زوجه أن يستعدى عليه عمر، ففعل، و ارتحل إلى المدينة، وسأل عن بيت عمر، وأرشد إليه، فإذا عمر جالس على عبادة ممزقة، فشكا إليه الدهقان ما لقيه من عامله، فطلب عمر صحيفة، وكتبت فيها بعض الشيء، وأراد خيطاً ليلفها به، فلم يقدر عليه، فمزق قطعة من عباءته، ولف بها الصحيفة، وناولها الرجل، فأخذها، وارتحل إلى بلده، وأبدى أسفه إلى زوجه؛ لأنه ذهب إلى رجل لا يقدر على خيط يشد به صحيفته ! فكيف يستطيع أن يلزم الأمير أمره؟ فقالت زوجته: وما عليك! احمل الصحيفة إليه، فحملها، فلما فضها الأمير، وقرأها، تصبب عرقاً، وقال للدهقان ماذا فعلت؟ خذ الضيعة... وهنا يحدث الدهقان، فيقول قرأت الصحيفة، فإذا فيها: ((أنصف فلاناً الدهقان من نفسك وإلا فأقبل والسلام)) .(Sabiq, 1963, 156)

وبعد أن عرفنا العدل وبينا مجالاته وثماره وخطورة تركه لابد أن نوضح مسألتين مهمتين وهما هل العدل هو المساواة وهل العدل كامل أو نسبي ونبدأ أولاً:

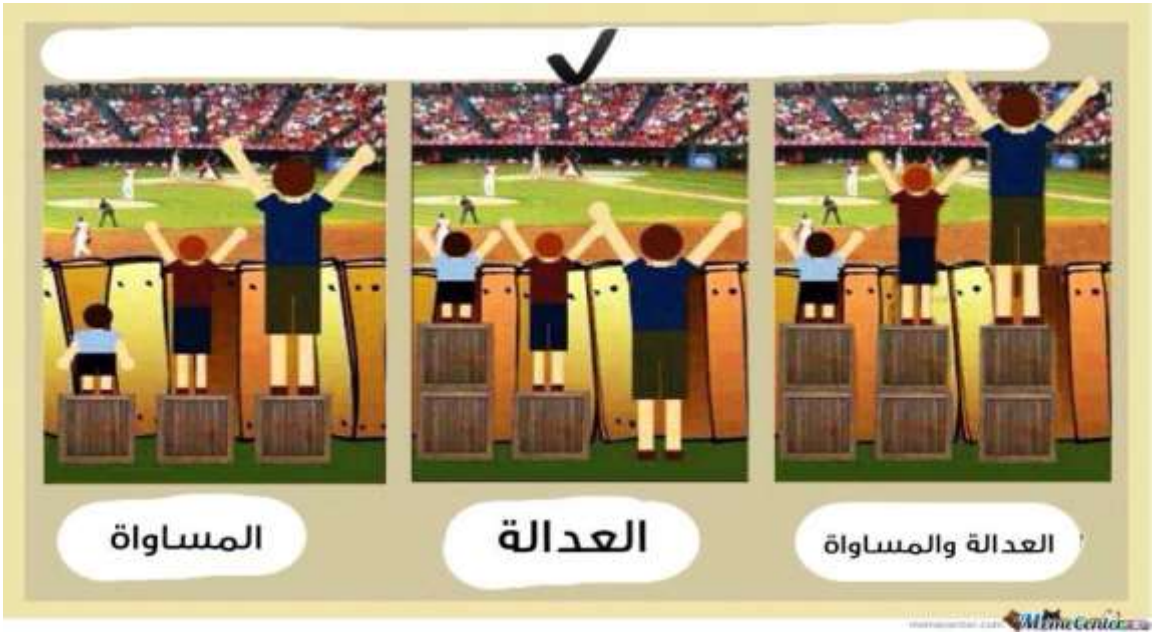

العدل هل هو المساواة؟ لو نظرنا في تعريف العلماء للعدل لوجدنا أن من تعريفات العدل المساواة لأن العدل أحياناً يكون في المساواة ولكن التعريف الذي رجحناه هو أن العدل نقيض الظلم وذلك لأن العدل يكون في المساواة إذا كانت الأطراف متساوية في الحقوق والواجبات والتكوين كانت المساواة عدلاً بينهم أما في حالة الاختلاف فالمساوة ظلم. ونذكر مثالًا للتقريب لو كان هناك شخص عنده أربعة من الأبناء وأراد أن يعدل بينهم في اللباس وقدم لهم قطعة من القماش متساوية في الطول لهم جميعًا مع اختلافهم في الحجم وفي الطول وفي الوزن فهل يكون هكذا قد عدل بينهم وهو قد ساوى بينهم وأعطاهم نفس القطعة سيكون هكذا قد ظلمهم لأنهم مختلفين في طولهم وفي وزنهم، وإليكم هذه الصورة التي تعبر تماماً عن الاختلاف بين المساواة والعدل وأن المساواة أحياناً ظُلم.

وكثيرٌ ممن ينادي بمساواة الرجل بالمرأة هو يريد ظلماً للمرأة فكيف تساوي مختلفين في التكوين والطبيعة، هذا هو الظلم الحقيقي فالعدل هو أن نعطي كل واحد حقه نعم هناك مساواة بين الرجل والمرأة من ناحية أنهم بشر ومن ناحية التكليف الشرعي بشكل عام، وهذا لا ينقص من قدر المرأة على عكس بل أن قيمة المرأة كبيرة جداً في الثقافة العربية والإسلامية ومن رجع إلى القرآن الكريم أو السنة النبوية وتأمل أحكام المرأة والأقوال الواردة فيها لعرف ماهية قيمة المرأة في الإسلام.

يقول القرضاوي: "فليس معنى العدل المساواة المطلقة، فإن المساواة بين المختلفين كالتفريق بين المتماثلين" (al-Qaradawi, 1995, 387). ويقول حبنكة: "هذا خطأ فادح يؤدي إلى تحقيق أنواع وصور شنيعة من الظلم تحت شعار العدل وذلك لأن حقوق الناس بالأصل غير متساوي فكيف تكون المساواة بينهم من العدل مع تفاوتهم بالحقوق" (Habannakah, 1999, 571) ويقول عباس محمود العقاد: "بنيت حقوق المرأة في القرآن الكريم على أعدل أساس، يتقرر به إنصاف سائر الناس، وهو أساس المساواة بين الحقوق والواجبات، فالمساواة ليست بعدل إذا قضت بمساواة الناس في الحقوق على تفاوت واجباتهم، وكفايتهم، وأعمالهم، وإنما هي الظلم كل ظلم للراجح والمرجوح " (al-A'qqad, 2005, 62)

وأما العدل الكامل والعدل النسبي: فالحقيقة أن المتتبع لموضوع العدل يجد أن العدل المطلق هو العدل الألهي وهو العدل الكامل لأنه يصدر عن الله سبحانه وتعالى ، أما نحن كبشر فالمطلوب منا أن نجتهد و أن نطبق أمر الله سبحانه وتعالى سواء كنا حُكاما أو محكومين ، والذي يحاسبنا الله سبحانه وتعالى عليه هو مدى تطبيقنا لهذا ، أما نحن كبشر هل نستطيع أن نعدل عدلاً كاملاً ، فالواضح أن هذا الأمر يصعب علينا ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما أنا بشر ، و إنكم تختصمون إلي و لعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) (al-Bukhari, 1422, 7169).

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث نؤكد أن موضوع **العدل** في الثقافة العربية والإسلامية من المواضيع الكبيرة والتي تحتاج عدة أبحاث حتى نتطرق إلى جوانبها الكبيرة، نسأل الله تعالى أن نكون وفّقنا في عرض مفهوم العدل في الثقافة العربية والإسلامية.

أهم النتائج

أ. للعدل عدة معاني ترجع للباحث أن العدل هو نقيض الجور والظلم

ب. إن العدل من أهم القيم في الثقافة العربية والإسلامية

ج. تعدد مجالات العدل في الثقافة العربية والإسلامية

د. ثمار العدل كبيرة ومنها الأمن والرخاء للفرد والمجتمع.

ه. العدل لا يعني المساواة دائمًا فأحياناً تكون المساواة ظلماً

و. العدل الكامل هو عند الله سبحانه وتعالى ومع هذا علينا الاجتهاد في إقامة العدل على قدر استطاعتنا

ز. الظلم أمر شنيع وعاقبته وخيمة في الثقافة العربية والإسلامية.

References

al-Qur'an.

Abd al-Karim Zaydan. 1993. *al-Sunan al-'Ilahiyyah fi al-Umam wa al-Jama'at*. Bayrut: Mu'asasah al-Risalah.

abu Dawud Sulayman bin al-'Ash'at. 2009. *Sunan 'Abi Dawud*. Bayrut: Dar al-Risalah al-'Alamiyyah.

al-Aqad Abbas Mahmud. 2005. *al-Mar'at fi al-Qur'an*. Misr: Tuhfah Misr li al-Taba'ah.

al-Bukhari Muhammad bin 'Isma'il Abu 'Abd Allah. 1422. *Sahih al-Bukhari = al-Jami' al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar min 'Umur Rasul Allah Salla Allah 'alaih wasalam wa Sunanihi wa Ayyamihi*. Bayrut: Dar Tuq al-Najat.

al-Duri Qahtan 'Abd al-Rahman. 2016. *Al-'Aqidah al-Islamiyyah wa Mazahibuha*. Bayrut: Kuttab Nashirun.

al-Fayruz Abadi Muhammad bin Ya'qub bin Muhammad bin 'Ibrahim bin 'Umar Abu Tahir Majd al-Din al-Shirazi. 2005. *Al-Qamus al-Muhit*. Bayrut: Mu'asasah al-Risalah.

al-Ghazali Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Tusi. 1987. *al-Maqsad al-'Asna fi Sharh Ma'ani 'Asma' Allah al-Husna*. Qabras: al-Jufan wa al-Jabi.

al-Jurjani Abu al-Hasan 'Ali bin Muhammad bin 'Ali al-Zayn al-Sharif. 1983. *al-Ta'rifat*. Bayrut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

al-Khatib al-Shirbini Shams al-Din Muhammav bin ‘Ahmad al-Shafi’i. t.th.. *al-Siraj al-Munir fi al-‘I’anah ‘ala Ma’rifah ba’d Ma’ani Kalam Rabbina al-Hakim al-Khabir*. al-Qahirah: Matba’ah Bulaq (al-‘Amiriyyah).

al-Maydani ‘Abd al-Rahman Hasan Habanakah. 1999. *al-‘Akhlak al’Islamiyyah wa ‘Asasuha*. Dimashq: Dar al-Qalam.

al-Qadi ‘Ayyad ‘Ayyad bin Musa bin ‘Ayyad bin ‘Amrun al-Yahsi al-Sibti Abu al-Fasl. 1978. *Mashariq al-Anwar ‘ala Sihah al-‘Athar*. Al-Qahirah: Dar al-Turath.

al-Qardawi Yusuf. 1995. *Dawr al-Qiyyam wa al-Akhlaq fi al-‘Iqtisad al-‘Islami*. al-Qahirah: Maktabah Wahbah li al-Taba’ah wa al-Nashr.

al-Qurtubi Abu ‘Abd Allah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farh al-‘Ansari al-Khazraji Shams al-Din. 1964. *Al-Jami’ li Ahkam al-Qur’an = Tafsir al-Qurtubi*. al-Qahirah: Dar al-Kutub al-Misriyyah.

al-Raghib al-Asfahani Abu al-Qasim al-Husayn bin Muhammad. 2012. *Mufradat Alfaz al-Qur’an*. Bayrut: al-Maktabah al-‘Asriyyah.

al-Razi Zaym al-Din Abu ‘Abd Allah Muhammad bin Abi Bakr bin ‘Abd al-Qadir al-Hanafi. 1999. *Mukhtar al-Sihah*. Bayrut: al-Maktabah al-‘Asriyyah.

al-Sayyid Sabiq. 1963. *‘Anasir al-Quwwah fi al-‘Islam*. al-Qahirah : Maktabah Wahbah.

al-Sayyid Sabiq. 2004. *Fiqh al-Sunnah*. al-Qahirah: Dal al-Hadis.

Ibn Faris ‘Ahmad bin Zakariyya. 1966. *Mu’jam Maqayis al-Lughah*. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn Hanbal Abu ‘Abd Allah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin ‘Asad al-Shaybani. 2001. *Musnad al-‘Imam Ahmad bin Hanbal*. Bayrut : Mu’asasat al-Risalah.

Ibn Khaldun ‘Abd al-Rahman bin Muhammad bin Muhammad Abu Zayd Wali al-Din al-Hadrami al-‘Ishbili. 1988. *Tarikh Ibn Khaldun*. Bayrut: Dar al-Fikr.

Ibn Manzur Muhammad bin Makram bin ‘Ali Abu Fadl Jamal al-Din al-Ansari al-Ruwayfa’i al-‘Ifriqi. 1414. *Lisan al-‘Arab*. Bayrut: Dar Sadr.

Muhammad ‘Abd al-Qadir Abu Faris. 1986. *Al-Nizam al-Siyasi fi al-‘Islam*. Al-‘Urdun: Dar al-Furqan.

Muhammad Mustafa al-Zuhayli. 1997. *Huquq al-‘Insan fi al-‘Islam*. Dimashq: Dar Ibn Kathir.

Muslim Abu al-Husayn Muslim bin al-Hajjaj a;-Qushayri al-Naysaburi. t.tp..*Sahih Muslim = al-Musnad al-Sahih al-Mukhtasar bi Naql al-‘Adl an al-‘Adl ‘ila Rasul Allah Salla Allah ‘alaih wasalam*. Bayrut: Dar ‘Ihya’ al-Turath al-‘Arabi.

Raghib al-Sarjani. 2009. *al-Rahmat fi Hayat al-Rasul Salla Allah ‘alaihi wasalam*. t.tp.: Rabitah al-‘Alam al-‘Islami.

Tabazah ‘Afif ‘Abd al-Fatah. 1993. *Ruh al-Din al-‘Islami*. t.tp.: Dar al-‘Ilm li al-Malayin